Abstract

The meaning of divine speech

And

the History of its Emergence

The study deals with a number of basic issues and question

. that accompanied them

The study shows that the age of sahaba is void of this problem it shows the efforts paid by scholars and officials to eliminate

. this problem

The study focuses on the historical death for the problem through mentioning the first person to call for this question and

. the factors that helped in its widespread

المقدمة

الحمد لله المتفضل بالجود والإحسان المنعم على عباده بنعم لا يحصيها العد والحسبان ، أنعم علينا بإنزال هذا القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان, وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله سيد ولد عدنان، المؤيد بالحجة والبرهان، المبعوث بأكمل الأديان، المنعوت في التوراة والإنجيل والقرآن صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان؛ صلاة وسلاما ما ترجم اللسان عن مخفي الجنان.

ثم أما بعد: فهذا بحث في بيان معنى صفة الكلام الإلهي وتاريخ ظهوره, وتكمن الغاية منه في الوقوف على معنى الكلام الإلهي وتحرير المصطلحات المتعلقة به عند اللغويين والنحاة وأرباب الفرق الإسلامية التي تناولته بالتفصيل باعتباره من أقدم المشاكل في تاريخ العقائد الإسلامية, والتي ظهرت منذ وقت مبكر في تاريخ دعوته ونهضته .

وقد جاء هذا البحث منقسما إلى خمسة مطالب رئيسة: المطلب الأول: في بيان معنى الكلام الإلهي عند أصحاب اللغة وأرباب اللسان, ولما كان للنحاة رأي آخر في حديثهم عن الكلام وأقسامه, لذلك جاء المطلب الثاني ليتحدث عن مذاهب النحاة في تحريرهم لمعنى الكلام, ثم مطلب ثالث في بيان معنى الكلام الإلهي من حيث تركيبه الإضافي, والذي تناول بيان معنى شقي المركب كل على حدة, فأفصح عن معنى الكلام أولا, وتلاه ببيان معنى الشق الآخر ألا وهو معنى نسبته للإله سبحانه وتعالى, ثم تطرق المطلب الخامس إلى معنى الكلام الإلهي عند أرباب المقالات الإسلامية وأصحاب العقائد الذين تباينت آرائهم ومذاهبهم في تحديد المراد من الكلام الإلهي, وأخيرا المطلب الخامس والذي عرج على العمق التاريخي لظهور الكلام الإلهي على صورة مشكلة أحدثت انقسامات فكرية كبيرة ترتب عليها فيما بعد إلى ظهور مذاهب وتيارات متنوعة حرصت على إثبات آراءها في معترك الخلافات العقائدية والفكرية, ثم خاتمة واهم النتائج التي توصل إليها البحث .

المطلب الأول: **تعريف الكلام عند اللغويين**.

قال الأزهري: "قال الليث: كَلِيمُكَ الذي تُكَلِّمُهُ ويُكَلِّمُكَ ، والكلامُ : معروف ... وقال غيره : الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء ، وتقع على لَفْظَةٍ واحدة مُؤلَّفةٍ من جماعةِ حروفٍ لها مَعْنى ، وتقع على قصيدة بكمالها وخُطْبَة بأسْرها . يقال : قال الشاعر في كلمته أي في قصيدته"[١].

وقال الجوهري: الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير. والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة"[٢].

وقال ابن فارس: (كلم) الكاف واللام والميم أصلانِ: أحدهما يدلُّ على نطقٍ مُفهِم، والآخَر على جراح, فالأوّل الكَلام. تقول: كلّمته أُكلّمه تكليماً؛ وهو كَليمِي إذا كلّمك أو كلَّمتَه. ثمَّ يتَّسِعون فيسمُّون اللفظةَ الواحدة المُفهِمَةَ كلمة، والقِصَّةَ كلمة، والقصيدةَ بطولها كلمة. ويجمعون الكلمةَ كلماتٍ وكَلِماً. قال الله تعالى: {يُحرّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}[٣], والأصل الآخر الكَلْم، وهو الجُرْح؛ والكِلام: الجراحات، وجمع الكَلْم كلومٌ أيضاً. ورجل كليمٌ وقومٌ كَلْمَى، أي جرحى، فأمَّا الكُلام، فيقال: هي أرضٌ غليظةٌ. وفي ذلك نَظَر"[٤].

وقال الفيومي: "(الكَلاَمُ) في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم"[٥] .

---

[١] تهذيب اللغة. تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري, تحقيق: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط١, ٢٠٠١م: (١٠/ ١٤٧).

[٢] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين – بيروت, ط٤, ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: (٥/ ٢٠٢٣) .

[٣] [النساء ٤٦، المائدة ١٣] .

[٤] معجم مقاييس اللغة. تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, ط٢, ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: (٥/ ١٣١).

[٥] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي, تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, المكتبة العلمية – بيروت: (٢/ ٥٣٩) .

وقال الزبيدي: "وفي شَرْحِ شَيْخِنَا: الكَلامُ لُغَةً يُطْلَقُ على الدَّوَالِّ الأربَعِ ، وعلى ما يُفْهَمُ من حَالِ الشَّيء مَجَازًا ، وعلى التَّكَلُّم ، وعلى التَّكْلِيم كَذلِك ، وعلى مَا في النَّفْسِ من المَعَانِي التي يُعَبَّرُ بِهَا ، وعلى اللَّفْظِ المُرَكَّبِ أَفَادَ أَمْ لا مَجازًا على مَا صَرَّح به سِيبَوَيْهِ في مَوَاضِع من كِتابِه مِن أَنَّه لا يُطْلَقُ حَقِيقةً إلا على الجُمَلِ المُفِيدَةِ ، وهو مَذْهَبُ ابنِ جِنِّي ، فهو مَجَازٌ في النَّفْسَانِيّ ، وقِيلَ : حَقِيقَةٌ فيه ، مَجازٌ في تِلْك الجُمَلِ ، وقيل : حَقِيقةٌ فِيهِما ، ويُطْلَقُ عَلَى الخِطَابِ ، وعلى جِنْس ما يُتَكَلَّمُ بِه من كَلِمَةٍ ولو كانَتْ على حَرْفٍ كواوِ العَطْفِ أو أكثرَ مِنْ كَلِمَةٍ مُهْمَلَةٍ أَوْ لا"[1].

من خلال هذا الاستعراض لأقوال أهل اللغة في بيان معنى الكلام أنهم جنحوا إلى تعميم هذا اللفظ ليشمل جميع أجزاء اللغة, من جملها, ومفرداتها, وحروفها سواء أفادت معنى أم لم تفد, وهذا هو الغالب في تأدية هذا المعنى اللغوي للكلام, وهذا ما نبه عليه أئمة النحو كذلك الذين أصلوا هذا المعنى تأصيلا فهذا الرضي في شرحه على الكافية يقول عن معنى الكلام اللغوي:" هو موضوع لجنس ما يتكلم به، سواء كان كلمة على حرف كواو العطف, أو على أكثر، أو كان أكثر من كلمة، وسواء كان مهملا، أو، لا، أما إطلاقه على المفردات فكقولك لمن تكلم بكلمة، كزيد، أو بكلمات غير مركبة تركيب الإعراب، كزيد، عمرو، بكر: هذا كلام غير مفيد، وأما إطلاقه على المهمل، فكقولك: تكلم فلان بكلام لا معنى له، فالقول، والكلام، واللفظ، من حيث أصل اللغة، بمعنى، يطلق على كل حرف: من حروف المعجم كان، أو من حروف المعاني، وعلى أكثر منه، مفيدا كان، أو، لا.

لكن القول اشتهر في المفيد، بخلاف اللفظ والكلام، واشتهر الكلام لغة في المركب من حرفين فصاعدا، واللفظ خاص بما يخرج من الفم من القول، فلا يقال: لفظ الله كما يقال: كلام الله وقوله، ثم، قد استعمل الكلام استعمال المصدر فقيل كلمته

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس, تاليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية: (٣٣/ ٣٧٠) .

كلاما، كأعطى عطاء، مع أنه في الأصل لما يعطى، وهذا كما يحكى عنهم: عجبت من دهنك لحيتك بضم الدال بمعنى دهنك بفتحها"[١].

فخلصوا أخيرا إلى أن معنى الكلام معنى جامعا في اللغة هو كما قال ابن عقيل: "وهو في اللغة اسم لكل ما يتكلم به مفيدا كان أو غير مفيد"[٢] .

المطلب الثاني: تعريف الكلام عند النحاة.

فرق أئمة النحو كما سبق بيانه بين المعنى اللغوي, والمعنى النحوي للكلام فهذا ابن مالك يصرح بهذا الفرق بقوله في مطلع ألفيته:

كَلاَمُنَا لَفْظٌ مُفِيْدٌ كَاسْتَقِمْ.....وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ

وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَمْ..... وَكَلْمَةٌ بِهَا كَلاَمٌ قَدْ يُؤَمْ[٣]

قال ابن عقيل شارحا:" الكلام المصطلح عليه عند النحاة عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها فاللفظ جنس يشمل الكلام, والكلمة, والكلم ويشمل المهمل كديز والمستعمل كعمرو ومفيد أخرج المهمل وفائدة يحسن السكوت عليها أخرج الكلمة وبعض الكلم وهو ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليه نحو إن قام زيد, ولا يتركب الكلام إلا من اسمين نحو زيد قائم أو من فعل و اسم كقام زيد وكقول المصنف استقم فإنه كلام مركب من فعل أمر وفاعل مستتر والتقدير استقم أنت فاستغنى بالمثال عن أن يقول فائدة يحسن السكوت عليها فكأنه قال الكلام هو اللفظ المفيد فائدة كفائدة استقم, وإنما قال المصنف كلامنا ليعلم أن

---

[١] شرح الرضي على الكافية, تأليف: محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر, جامعة قاريونس, ١٣٩٨ ه - ١٩٧٨ م: (١/٢٠-٢١) .

[٢] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, تأليف: ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي, تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الفكر - دمشق, ط٢, ١٩٨٥ م: (١/ ١٥) .

[٣] شرح إبن عقيل: (١/ ١٣) .

التعريف إنما هو للكلام في اصطلاح النحويين لا في اصطلاح اللغويين"[١].

وقد سبق ابن مالك وابن عقيل في إيراد هذا المعنى عمر بن القاسم الثمانيني فقال: باسطا الشرح فيه بقوله : والكلام عند أهل اللغة : يقع على المفيد ، وغير المفيد . وأما عند النحويين فلا يطلقونه إلا على المفيد . فإن أوقعوه على غير المفيد قيدوه بصفة ، فقالوا: (كلام مهمل) ، وكلام متروك ، وكلام غير مستعمل ، وكلام غير مفيد . والكلمة : عند أهل اللغة تقع على القليل والكثير ويدل على ذلك قولهم : قال فلان في كلمته . يريدون في قصيدته ، أو رسالته ، أو خطبته . وكل واحد من (هذه) يشتمل على كلام طويل وجمل كثيرة . قال : وذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٢] ، أن تفسير هذه الكلمة ، قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنّ عَلَى الَذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُونَ ﴾[٣] . قال : فأما الكلمة في مدارس النحويين . فهي عبارة عن اسم فقط ، أو فعل فقط ، أو حرف فقط"[٤].

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو المعنى اللغوي لا المعنى عند النحاة وذلك لتقييدهم الكلام بقيود تخرج كثير من مواضيع البحث عن دائرة الدراسة الذي يدور عليه المعنى اللغوي, وذلك لان الكلام في اللغة يعم الحدث, وما في النفس من معنى, وما تحصل به فائدة. يقول ابن هشام:" وأَما معناه في اللغة فإِنه يطلق على ثلاثة أمور أحدها الَحْدَث الذي هو التَّكْلِيمُ تقول أَعْجَبَني كَلاَمُكَ زَيْداً أي تَكْلِيمُكَ إِيَّاهُ وإِذا استُعمِل بهذا المعنى عَمِلَ عَمَلَ الأَفْعَال كما في هذا المَثال وكقوله:

(قَالُوا كلاَمُكَ هِنْداً وَهْيَ مُصْغِيَةٌ ... يَشْفِيكَ قُلْتَ صَحِيحٌ ذَاكَ لَوْ كانَا)

أي تَكْلِيمُكَ هِنْداً.

---

[١] المصدر السابق: (١/ ١٤-١٥) .
[٢] [الأعراف: ١٣٧] .
[٣] [القصص:٥-٦] .
[٤] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر, تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي, تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي, مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت – ط١, ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م: (ص: ٥٢٣) .

والثاني: ما في النفس مما يُعَبَّر عنه باللفظ المفيد وذلك كأن يقوم بنفسك معنى قَامَ زيد أو قَعدَ عمرو ونحو ذلك فيسمى ذلك الذي تَخَيَّلْتَه كلاماً قال الأخطل:

(لاَ يُعْجِبِنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلاَمِ أصِيلاَ)

(إِنَّ الْكَلاَمَ لَفِي الْفُؤادِ وَإِنَّما ..... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفؤادِ دَلِيلاَ)

والثالث: ما تَحصُلُ به الفائدةُ سواء كان لفظاً أَو خطاً أَو إشارة أَو ما نطق به لسانُ الحالِ والدليلُ على ذلك في الخط قولُ العرب الْقَلمُ أحَدُ اللِّسَانَيْنِ وتسميتهم ما بين دَفَّتَي المصحف كلام الله والدليلُ عليه في الإشارة قولُه تعالى: ﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[١], فاستثنى الرمز من الكلام والأصْلُ في الاستثناء الاتِّصَالُ وأما قوله:

(أَشارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِها ..... اشارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ)

(فَأَيقَنْتُ أَن الطّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً ... وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ المُتَيَّمِ)

فإنما نَفَى الكَلاَمَ اللفظيَّ لا مُطْلَقَ الكلام ولو أراد بقوله ولم تتكلم نَفْيَ غير الكَلاَمِ اللفظيِّ لانتقَضَ بقوله فأَيقنت أن الطرف قد قَالَ مرحباً لأَنه أثْبَتَ للطرف قَوْلاً بعد أن نَفَى الكلام والمراد نَفْيُ الكلام اللفظي وإثبات الكلام اللغوي , والدليلُ عليه فيما نَطَقَ به لسانُ الحالِ قولُ نُصَيْبٍ:

(فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالّذِي أَنتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتوا أثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ)[٢].

---

[١] [آل عمران: ٤١] .

[٢] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, تأليف: عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن هشام, تحقيق : عبدالغني الدقر, الشركة المتحدة– دمشق, ط١، ١٩٨٤: (ص٣٥-٣٨).

المطلب الثالث: معنى الكلام الإلهي من حيث التركيب الإضافي.

فإن المراد بالتركيب الإضافي في هذه الجملة المكون من المضاف (الكلام) ومن المضاف إليه (الإلهي) هو الكلام المضاف إلى الله تعالى من الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء كصحف إبراهيم وموسى, والتوراة, والإنجيل والزبور, والقران وما في معناها[١]. قال إسماعيل بن محمد الاصبهاني:" وكل كتاب أنزله الله على أنبيائه من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم ، وشيث عليهم السلام كلام الله"[٢].

"ومما ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله سبحانه نوعان : صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فالعلم والقدرة إلخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية وكذا الفعلية من التكوين والمحبة والرضا ونحوها في مذهب السلف كما مر (والثاني) إضافة أعيان منفصلة كبيت الله وناقة الله وعبد الله ورسول الله وكذلك روح الله فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه لكنها تقتضي تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف إليه عن غيره"[٣] .

وهذا القدر من التعريف –وهو كون الله تعالى متكلم, وان هذه الكتب المضافة إليه كلامه– محل إجماع كما نقل الفخر الرازي في تفسيره حيث قال:" المسألة الرابعة: أجمعت الأمة على أن الله تعالى متكلم"[١]. وكذا نقل ابن حزم, فقال:" أجمع

---

[١] كالأحاديث القدسية فإنها كلام مضاف إلى الله تعالى. قال الكتاني: وهي : المسندة إلى الله تعالى بأن جعلت من كلامه سبحانه ولم يقصد إلى الإعجاز بها". الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة, تأليف: محمد بن جعفر الكتاني, تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي, دار البشائر الإسلامية – بيروت, ط٤، ١٤٠٦ – ١٩٨٦: (ص: ٨٢) .

[٢] الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة, تأليف: إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني, تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي, دار الراية السعودية- الرياض, ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: (٢/ ٣١٢) .

[٣] لوامع الأنوار البهية, تأليف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢, ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: (٢/ ٣٦) .

[١] مفاتيح الغيب, تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي, دار الكتب العلمية - بيروت – ط١, ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م: (٢٧/ ١٦١) .

أهل الإسلام كلهم أن لله تعالى كلاما وعلى أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين أحد من أهل الإسلام"[٢] .

والمعنى الثاني المجمع عليه في تعريف الكلام الإلهي هو ما جاء في تعريف القران الكريم الذي هو جزء من الكلام الإلهي فهذا ابن حزم الأندلسي يبين هذا القدر المتفق عليه فيقول:" مسألة: وهو-أي القران- المكتوب في المصاحف والمسموع من القارئ, والمحفوظ في الصدور, والذي نزل به جبريل على قلب محمد ﷺ: كل ذلك كتاب الله تعالى وكلامه القرآن حقيقة لا مجازا, من قال: في شيء من هذا أنه ليس هو القرآن, ولا هو كلام الله تعالى فقد كفر, لخلافه الله تعالى ورسوله ﷺ وإجماع أهل الإسلام"[٣].

ومن الذين نقلوا الإجماع على أن الكلام الإلهي هو المتلو المكتوب ابن الوزير, وذلك في بيانه على أن قيام " دلالة الإجماع على أن كلام الله تعالى هو المتلو في المكتوب في المصاحف"[٤].

وكذلك نقل الإجماع الكرمي, فقال:"واجمعوا على أن المحفوظ في الصدور والمقروء بالألسن والمكتوب في المصاحف يقال له كلام"[٥].

وقد أطال الزرقاني النفس في مناهل العرفان في إظهار إجماع أهل الأصول والفقه واللغة على هذا المعنى فبين أن القران هو "اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

---

[٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل, تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد, مكتبة الخانجي – القاهرة: (٤/٣) .

[٣] المحلى بالآثار شرح المجلى بالإختصار, تاليف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: (١/ ٣٢) .

[٤] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد, تأليف : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي, دار الكتب العلمية - بيروت, ط٢، ١٩٨٧: (ص: ٢٩١) .

[٥] قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن, تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي, تحقيق: سامي عطا حسن, دار القرآن الكريم - الكويت، ١٤٠٠: (ص: ٢٣٤) .

ثم قال: هذا الإطلاق كما علمت ينسب إلى علماء الأصول والفقه واللغة العربية. ويوافقهم عليه المتكلمون أيضا؛ غير أن هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزل الخ اختلفوا في تعريفه: فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة. ومنهم من اختصر فيه وأوجز. ومنهم من اقتصد وتوسط. فالذين أطنبوا عرفوه بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي ﷺ والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم. وإن كان قد امتاز بكثير سواها[١].

المطلب الرابع: معنى الكلام الإلهي من حيث المعنى المختلف عليه.

فيما تقدم تبين القدر المشترك, والمعنى المتفق عليه في تعريف الكلام الإلهي من قبل طوائف أهل الإسلام؛ إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الإجماع, فقد نشا خلاف في زاوية أخرى فيه, وهي مسألة خلق القران التي اتسعت أنظار أرباب المقالات في تقليب الفكر فيه؛ مما أدى بالنتيجة إلى محاولة تحديد معنى الكلام الإلهي القائمة على أساس إدراك القدر المخلوق منه, وفي هذا المطلب بيان لأهم تلكم التعريفات لأصحاب تلك المقالات التي "بلغوا فيها إلى تسعة أقوال وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه فمنهم من يذكر قولين ومنهم من يذكر ثلاثة ومنهم من يذكر أربعة ومنهم من يذكر خمسة"[١].

---

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن, تأليف : محمد عبد العظيم الزرقاني, تحقيق : فواز أحمد زمرلي, دار الكتاب العربي - بيروت, ط١, سنة الطبع : ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م: (١/ ٢١) .

[١] منهاج السنة النبوية, تأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق : د. محمد رشاد سالم, مؤسسة قرطبة ، ط١: (٢/ ٢١٢). وشرح العقيدة الطحاوية, تأليف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي, تحقيق : أحمد شاكر, وزارة الشؤون الإسلامية ، والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية, ط١- ١٤١٨ هـ: (ص: ١٢٨-١٢٩) .

الأول: قول من يقول إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض إما من العقل الفعال عند بعضهم وإما من غيره وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله.

ثانيا: أن كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق خلقه الله منفصلا عنه وقالوا أن الله عز و جل كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة، وهذا قول المعتزلة[٢].

ثالثا: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالإمام ابي الحسن الأشعري وغيره[٣].

رابعا: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث[٤].

خامسا: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم[٥].

سادسا: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية.

سابعا: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي .

ثامنا: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه.

تاسعا: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة[١] .

---

[٢] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٤/٣), ومنهاج السنة النبوية: (٢١٢/٢) .

[٣] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: (ص: ١٢٨). ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين,=

[٤] ينظر: الملل والنحل: (١/ ١٠٠) .

[٥] قال الإسفراييني:" وأعلم أن من نوادر جهالاتهم فرقهم بين القول والكلام وقولهم أن كلام الله قديم وقوله حادث وليس بمحدث وله حروف وأصوات وإنما هو قدرته على التكليم والتكلم". التبصير في الدين , تأليف: طاهر بن محمد الإسفراييني, تحقيق : كمال يوسف الحوت, عالم الكتب - بيروت,ط١، ١٩٨٣: (ص: ١١٤).

المطلب الخامس: نظرة تاريخية في ظهور الخلاف في هذه القضية

من الثابت تاريخيا أن قرن الصحابة رضي الله عنهم انقضى من غير ظهور أي خلاف في قضية الكلام الإلهي, وكذا قرن التابعين إلى أن ظهر رجل من موالي بني مروان أصله من خراسان يدعى الجعد بن درهم[٢], وذلك في حكم مروان الحمار, ويسمى أيضا الجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم الذي كان مؤدبا لمروان الذي قدر نهاية الدولة الأموية في زمانه.

قال البيهقي: " ولم يصح عندنا خلاف هذا القول (أي أن القران كلام الله غير مخلوق) عن أحد من الناس في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين , وأول من خالف الجماعة في ذلك الجعد بن درهم ، فأنكره عليه خالد بن عبد الله القسري وقتله ، وذلك فيما أخبرنا ثم ساق بإسناده إلى عبد الرحمن بن حبيب بن أبي حبيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت خالد بن عبد الله القسري وقد خطبهم في يوم أضحى بواسط ، فقال : ارجعوا أيها الناس فضحوا ، تقبل الله منكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ؛ فإنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا قال : ثم نزل فذبحه[١]"[٢] .

---

[١] منهاج السنة النبوية: (٢/ ٢١٢). وشرح العقيدة الطحاوية: (ص: ١٢٨) .

[٢] الجعد بن درهم، من الموالي: مبتدع، له أخبار في الزندقة. سكن الجزيرة الفراتية. وأخذ عنه مروان بن محمد لما ولي الجزيرة، في أيام هشام بن عبد الملك، فنسب إليه. أو كان الجعد مؤدبه في صغره. توفي نحو ١١٨ هـ . الأعلام: (١٢٠/٢) .

[١] ينظر: الأسماء والصفات, تأليف: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي, تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي, مكتبة السوادي – جدة, ط١: (١/ ٦١٧- ٦١٨) .

[٢] الأثر رواه البخاري في التاريخ الكبير, تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي, تحقيق : السيد هاشم الندوي, دار الفكر: (١/ ٦٤), والاجري في الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي, دار الوطن - الرياض / السعودية, ط٢ , ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: (٦٢/٣) .

وذكر أبو القاسم اللالكائي في أخبار الجعد بن درهم أن "عبد الرحمن بن أبى حاتم قال: سمعت أبي يقول: أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم وقاله في سنة نيف وعشرين ومائة"[٣].

وقال ابن كثير في ترجمة الجعد بن درهم:" هو أول من قال بخلق القرآن، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي، وهو مروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية.

كان شيخه الجعد بن درهم، أصله من خراسان، ويقال إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، وكانت له بها دار بالقرب من القلاسيين إلى جانب الكنيسة، ذكره ابن عساكر.

قلت: وهي محلة من الخواصين اليوم غربيها عند حمام القطانين الذي يقال له حمام قلينس.

قال ابن عساكر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري، وقيل الترمذي، وقد أقام ببلخ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران، حتى نفي إلى ترمذ، ثم قتل الجهم بأصبهان، وقيل بمرو، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرا، وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دواد عن بشر، وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة، فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه، ثم إن خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك أن خالدا خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا. ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر.

---

[٣] اعتقاد أهل السنة: (٣/ ٣٨٢).

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساكر في التاريخ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه، وأنه كان كلما راح إلى وهب يغتسل ويقول: أجمع للعقل، وكان يسأل وهبا عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوما: ويلك يا جعد، اقصر المسألة عن ذلك، إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يدا ما قلنا ذلك، وأن له عينا ما قلنا ذلك، وأن له نفسا ما قلنا ذلك، وأن له سمعا ما قلنا ذلك، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل"[1] .

الخاتمة

الحمد لله ذي المجد والكرم، الذي خلق الإنسان وعلمه القلم، أحمده سبحانه على عظيم نعمائه، وأشكره على عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله الأعز الأكرم، وأشهد أن

[1] البداية والنهاية, تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي, تحقيق: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط١, ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م: (٩/ ٣٨٣) .

نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ففي نهاية هذا البحث فقد لاحت فيه نتائج عدة يمكن بيان أهمها إلى عدة فقرات تمثل ملخصا لما تقدم من الدراسة في هذا الموضوع الذي تنوعت فيه الآراء وتنوعت معها أدلتها ومناقشاتها وهذه النتائج هي كالأتي:

١- الذي استقر عليه أهل اللغة في بيان معنى الكلام أنهم جنحوا إلى تعميم هذا اللفظ ليشمل جميع أجزاء اللغة, من جملها, ومفرداتها, وحروفها سواء أفادت معنى أم لم تفد .

٢- فرق أئمة اللغة كما سبق بيانه بين المعنى اللغوي, والمعنى النحوي للكلام .

٣- تبين من خلال البحث حصول الإجماع من قبل جميع الفرق الإسلامية على كون الرب سبحانه متكلم بكلام, وان هذا الكلام مضاف إليه عز وجل, ثم اختلفوا في تعيين حقيقة هذا الكلام المضاف إليه سبحانه, ولا يعكر على هذا الإجماع خلاف الجهمية لان جمهور الإسلاميين لا يعدونها من الفرق الداخلة في الإسلام .

٤- ظهرت مشكلة خلق القران في وقت مبكر من تاريخ العقائد الإسلامية, وذلك في القرن الثاني الهجري إلا أنها لم يشتد ساعدها ولم تقف على سوقها الا في القرن الثالث الهجري, وذلك حين تبناها الخليفة المأمون العباسي .

٥- إن لظهور مشكلة خلق القران أدت إلى حصول مشاكل كثيرة منذ نشاءتها ابتداءً من قتل صاحب هذه المقالة وهو الجعد بن درهم مرورا بمحنة الإمام احمد التي عذب وقتل بسبب امتحان المأمون وابن أبي دؤاد جلة من أهل العلم .

المصادر

١- التاريخ الكبير, تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي, تحقيق : السيد هاشم الندوي, دار الفكر.

٢- الأسماء والصفات, تأليف: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي, تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي, مكتبة السوادي – جدة, ط١.

٣- إيثار الحق على الخلق, محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي, دار الكتب العلمية – بيروت, ط٢، ١٩٨٧ .

٤- البداية والنهاية, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي, تحقيق: علي شيري, دار إحياء التراث العربي, ط١, ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٥- تاج العروس من جواهر القاموس, تاليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي, تحقيق: مجموعة من المحققين, دار الهداية .

٦- التبصير في الدين , تأليف: طاهر بن محمد الإسفراييني, تحقيق : كمال يوسف الحوت, عالم الكتب - بيروت,ط١، ١٩٨٣ .

٧- تهذيب اللغة. تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري, تحقيق: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي - بيروت, ط١, ٢٠٠١م .

٨- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة, إسماعيل ابن محمد الأصبهاني, تحقيق محمد بن ربيع المدخلي, دار الراية السعودية- الرياض, ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن, تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الفكر - دمشق, ط٢, ١٩٨٥ م .

١٠- شرح الرضي على الكافية, تأليف: محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، نجم الدين تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر, جامعة قاريونس, ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, تأليف: عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن هشام, تحقيق: عبدالغني الدقر, الشركة المتحدة- دمشق, ط١، ١٩٨٤ .

١٢- شرح العقيدة الطحاوية, تأليف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي, تحقيق : أحمد شاكر, وزارة الشؤون الإسلامية ، والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية, ط١- ١٤١٨ هـ .

١٣- الشريعة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي, دار الوطن - الرياض / السعودية, ط٢, ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري, تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين - بيروت, ط٤, ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل, تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد, مكتبة الخانجي - القاهرة .

١٦- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن, تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي, تحقيق: سامي عطا حسن, دار القرآن الكريم – الكويت، ١٤٠٠ .

١٧- لوامع الأنوار البهية, تأليف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢, ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

١٨- المحلى بالآثار شرح المجلى بالإختصار, تاليف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي, تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي, المكتبة العلمية – بيروت .

٢٠- معجم مقاييس اللغة. تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, ط٢, ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢١- مفاتيح الغيب, تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي, دار الكتب العلمية – بيروت – ط١, ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٢- مناهل العرفان في علوم القرآن, محمد عبد العظيم الزرقاني, تحقيق : فواز أحمد زمرلي, دار الكتاب العربي – بيروت, ط١, سنة الطبع : ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.

٢٣- منهاج السنة النبوية, تأليف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني, تحقيق : د. محمد رشاد سالم, مؤسسة قرطبة ، ط١.

٢٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر, عبد الرحمن بن الجوزي, تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي, مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت – ط١, ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م .